

والبشر في بست قضاء نهائياً^(١) .

٢ - بست ومكانتها الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية :

مكانة بست الاستراتيجية والعسكرية :

كانت القبائل الآرية وملوكها تنظر إلى هذه المنطقة الساحلية نظرة تقدير واحترام كبيرين من الناحيتين الدينية والعسكرية ، ومن هنا كان الملوك والقواد والقبائل الآرية تقوم بتقديم النذور والأضاحي بعد كل انتصار وفتح يتم لها في هذه المناطق ، وكانت كذلك تقوم فيها بأداء الطقوس الدينية البدائية ، ومن ناحية أخرى كان الملوك والقواد الآريون يتخذون المنطقة كقاعدة عسكرية واستراتيجية لشن هجماتهم على أعدائهم في المناطق المجاورة لها وإخضاعها لحكمهم ، وقد مرت بنا قصة الملك الآري ويشناسيه والأمير الآري بستوار البلخي ، وما قاما به من الأعمال العسكرية والاستراتيجية في هذه المنطقة الساحلية الأفغانية .

ومن ناحية أخرى فقد تم فتح بست في خلافة عثمان بن عفان (رض) بقيادة الربيع بن زياد الحارثي واتخذها بعد ذلك القائد العربي عبد الرحمن بن سمرة وعدد آخر من قواد العرب المسلمين وزعمائهم العسكريين والسياسيين مقر لهم وقاعدة لشن الحملات على المناطق الأخرى في أفغانستان وفي البلاد الهندية لنشر الدعوة الإسلامية في ربوعها ، ومن هذه القاعدة العسكرية انطلق المجاهدون العرب لفتح

(١) لمزيد من المعلومات الخاصة بهذا الجزء تراجع :

أفغانستان بعد از اسلام للأستاذ عبد الحمى حبيبي ، تاريخ أفغانستان ولشكرگاه للأستاذ أحمد علي كهزاد ، ديوان فرخى سيستانى ، تاريخ سيستان لمؤلف مجهول ، أحسن التقاسيم للمقدسى البشارى ، معجم البلدان ، مروج الذهب ، زين الأخبار للكرديزى ، فروع البلدان ، الطبرى ، ابن الأثير ، تاريخ البيهقى ، إيران في عهد الساسانيين للأستاذ أيزر كريستينس ، غوريان للأستاذ عتيق الله بهجواك ، غزنة وغزنيوان للأستاذ غلام جيلاني جلالى ، رياض الألواح - غزنة للأستاذ المرحوم شيخ محمد رضا ، رهاى أفغانستان للأستاذ فضل أحمد ، آريانا دائرة المعارف ، أفغانستان لجماعة من علماء أفغانستان ، صفاريان للأستاذ مير محمد صديق فرهنگ ، سلطنت غزنيوان للأستاذ خليل الله خليل ، أفغانستان للأستاذ عبد الباق لطيفى ، يرخانه دناربخ به زناكى للأستاذ سيد بهادر شاه كاكاحيل ، بته خزانة للأستاذ محمد دواود بن هوتك ، ميرويس للأستاذ عبد الرؤوف بينوا ، تاريخ أفغانستان ترجمة الأستاذ منشى أحمد جان ، ديشتو تاريخ للأستاذ المرحوم فاضى عطاء الله خان ، ديشتو أدب تاريخ للأستاذ صديق الله رشتين ، پختو أدب للأستاذ عبد الحلیم اثر .

كل من داور وزابل وكابل وغيرها من الأقاليم الأفغانية .

ثم اتخذها صدقة بن عثمان بن عمارة المزني في أيام الخليفة هارون الرشيد قاعدة ومركز عمليات استراتيجية وعسكرية قام بها في الأقاليم والمناطق القريبة منها ، وعلى كل حال كانت مدينة بست الساحلية الهامة مركز قيادة عسكرية واستراتيجية للمسلمين العرب الذين كانوا يحاربون المشركين في هذه البلاد الجبلية الصعبة وخاصة في حروبهم وعملياتهم القتالية ضد الرطابلة وغيرهم من ملوك الطوائف في أفغانستان .

ثم توالى العصور والأمور العسكرية وغير العسكرية على بست ، حتى اتخذها الغزنويون قاعدة ومقر قيادة لهم لتنفيذ مخططهم في أفغانستان الغربية والجنوبية وفي إيران الشرقية ، وقام السلطان محمود الغزنوي الزابلي ببناء قاعدة بست العسكرية = لشكري بازار ، ثم قام ابنه السلطان مسعود بتوسيعات وزيادات في هذه القاعدة العسكرية نظرا لاتساع عملياته وأعماله في هذه المنطقة من أفغانستان ، وأضاف إليها ثكنات للجيش الذي كان يخوض المعارك في المناطق المحيطة بها ، وكان كل من السلطان محمود والسلطان مسعود وغيرهما من سلاطين غزنة وأرائها يقومون بعملياتهم العسكرية والأعمال الإدارية من مقر قيادتهم العسكرية في بست .

ونظرا لأهمية بست العسكرية والاستراتيجية قام الجيش الغوري بإحراق القاعدة العسكرية في بست ، وللأهمية نفسها قام الغوريون بإعادة بنائها ثانية بعد أن تم لهم النصر على الغزنويين وللسبب نفسه قام الخوارزمشاهيون ، أو المغول بالعمل نفسه وللأهمية نفسها .

وقد أضاف إلى أهمية بست العسكرية والاستراتيجية وجودها بجوار نهر هلمند الذي يحمي القاعدة من الغرب من ناحية ويمونها بالمياه اللازمة من ناحية أخرى .

ومن مفاخر بست وميوند وسيستان المعارك التي دارت رحاها بين الجيش الأفغاني والجيش الصفوي أولا ، ثم بين الجيش الأفغاني وقوات نادرشاه افشار التي دوخت الهند ثانيا ، وكان مقر قيادة الزعيم الأفغاني مير ويس خان في المنطقة الأثرية بين بست وصحراء لكان . وقد انتصر الجيش الأفغاني في المعارك الأولى ، ولم يوفق في المعارك التي دارت بينه وبين القوات النادرية فوق أرض بست .

مكانة بست السياسية والإدارية :

لقد انضح فيما مضى من الدراسة والبحث أن مدينة بست كانت العاصمة الثانية لسلطين غزنة في أفغانستان ، وبالأخص في عصر كل من السلطان محمود الغزنوي الزابلي والسلطان مسعود الغزنوي الزابلي ، وذلك لأن بست من الناحية السياسية والإدارية تعتبر مركزا سياسيا وإداريا لعدد من الأقاليم والمناطق الأفغانية الاستراتيجية الهامة مثل الغور = بلاد الجبال ، وسيستان = سجستان ، هرات ، وفراه ، ومن ثم قام السلطان محمود ببناء قاعدة للقيادة العسكرية بجوار مدينة بست واتخذها مقرا له لإدارة تلك المناطق ، وبالأخص لإدارة سيستان وللدفاع عنها بعد أن تم له فتحها ، وكان يتردد كثيرا على بست ويتخذها مركز إدارة له لتفقد أحوال هذه المناطق الأفغانية .

والأمير مسعود بن محمود الغزنوي الزابلي نشأ نشأته الأولى في جوار بست بأرض داور (زمينداور) ، وقد عين وهو شاب واليا في هرات بجوار بست أيضا ، وكان يتردد مع أبيه السلطان محمود على معسكر بست ونهرها هلمند ، فكانت ميوله وهو طفل ، وميوله وهو مراهق ، وميوله وهو شاب متعلقة ومرتبطة ببست ويقاعدتها ومعسكرها ونهرها^(١) .

تولى السلطان مسعود الحكم بعد أبيه في سنة ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م ، وعندما كان يقيم في بست - وما أكثر ذلك - كان ينتقل معه من غزنة إلى بست جميع أركان الدولة الغزنوية من الوزارة والإدارة والقيادة ، والسفارة ، وأثناء وجوده في بست المشتى الجميل ، يصل إليه البريد من جميع الولايات الغزنوية داخل أفغانستان وخارجها يوميا ، وخاصة من ولاية غور = غورات ، وولاية بادغيس = بادغيسات ، وولاية سيستان = سجستان ، وولاية هرات ، وولاية غرجستان ، ومن سائر الولايات الغزنوية الأخرى في جميع أنحاء الإمبراطورية المترامية الأطراف بين كل من البلاد الأفغانية والهندية والإيرانية الحالية . فنتعش

(١) راجع ص : ٢٣ - ٢٦ من هذا الكتاب ، وسلطت غزنيان للأستاذ خليل الله خليلي - صفحات مختلفة .

فيها الحياة بجميع جوانبها السياسية والإدارية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية . وكانت الدولة الغزنوية في حاجة إلى مشتى كمشتى مدينة بست من ناحية ، وكان السلطان مسعود بن محمود مهندسا - كما يقولون - من ناحية أخرى ، وكان من الضروري أن يزداد عدد الدور والمساكن والبساتين من حول مدينة بست وقاعدتها العسكرية أكثر من ذي قبل لزيادة احتياجات الدولة الغزنوية ، لذلك كله قام السلطان المهندس مسعود بن محمود بزيادات وتوسيعات وتحسينات وإصلاحات في القصر السلطاني والقاعدة العسكرية في بست ، كما قام بتوسيعات كثيرة أخرى في معسكر بست التاريخي الشهير ليتسع لشئونه السياسية والإدارية والعسكرية ، ولجيوشه وحاشيته السلطانية ، وكان السلطان مسعود أيام وجوده في مشناه ببست يقوم برحلات وجولات للصيد على جانبي نهر هلمند ، كما كان يقوم بزيارات خاصة - أحيانا - تلبية للدعوة التي توجه إليه من طرف أعيان المناطق المجاورة لمدينة بست^(١) . وهذه المناسبة نذكر تلك المدينة التاريخية الشهيرة التي أنجبت الوزير الغزنوي الخواجه أحمد حسن الميوندى (الميمندى) والتي تقع بين قندهار = كندهار وبست وتبعد عن قندهار بحوالى ٤٥ كيلو مترا ، وكانت قصور ميوند = ميمند تنافس قصور بست السلطانية في بست الساحلية ، تلك القصور الميوندية التي بناها الوزير أحمد حسن الميوندى وزير السلطان الغزنوى الزابلى وابنه السلطان مسعود الغزنوى ، ذلك الوزير الأفغانى القدير الذى أعاد كتابة اللغة العربية إلى الدوائر الرسمية فى المكاتب الحكومية ، فأعاد إليها بذلك وقارها ورونقها فى أفغانستان بعد أن كانت قد ألغيت بالأمر السلطانى الذى استصدره وزيره السابق الأسفراينى . وفى إحدى رحلات مسعود وزاراته أثناء إقامته فى بست ، دعاه عبد الرزاق بن أحمد حسن الميوندى لزيارة مدينة ميوند = ميمند وقد نزل السلطان مسعود وحاشيته بالقصور التى بناها الوزير أحمد حسن على طراز القصور السلطانية^(٢) .

والحديث عن بست وعن مدينة ميوند يذكرنى بل يشوقنى إلى أن أشير إشارة

(١) لشركاه : صفحات مختلفة ، وسلطت غزنيان : صفحات مختلفة .

(٢) ديوان الشاعر الأفغانى أبى الحسن على بن جولوغ الفرخى : صفحات مختلفة .

عابرة إلى المعركة الرائعة التي وقعت في ميوند بين قوات التحرير الأفغانية وبين القوات الإنجليزية ، وقد استطاعت القوات الأفغانية أن تلحق الهزيمة المنكرة بالقوات الإنجليزية الغازية المسلحة بالأسلحة الحديثة . وقصة معركة ميوند الشهيرة التي يتغنى الشعراء الأفغان بانتصاراتها الرائعة تبدأ بأن قائد القوات البريطانية في قندهار قد تلقى أخبارا عن تحرك قوة أفغانية من هرات صوب قندهار للملاقاة العدو الإنجليزي هناك ، فأرسل قوة بريطانية لصد زحف القوة الأفغانية نحو قندهار ، فالتقت القوتان الأفغانية والبريطانية في ساحة ميوند الشهيرة ، واشتبكتا في معركة كانت الهزيمة الساحقة فيها من نصيب البريطانيين ، فسقط عدد كبير من القوات البريطانية المعتدية قتلى في ساحة القتال والنضال والوعى ، وهرب من نحو منهم إلى قندهار تاركين وراءهم القتلى والجرحى في ميدان القتال وساحة الحرب والنضال ، وبذلك تلقى الإنجليزي درسا قاسيا على أيدي الأفغان ، وكان ذلك في ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٠ م . وقد أقام الأفغان نصبا تذكاريًا بمناسبة انتصارهم على الإنجليزي في بستان يطل على مقبرة الشهداء الأفغان ، وقبور قتلى الإنجليزي^(١) . وفي معركة ميوند معان كثيرة تغنى بها الشعراء الأفغان تحليداً لذكراها العطرة وإيقاظاً للشعور الوطني في النفوس .. يقول شاعر أفغانى على لسان حسناء تخاطب حبيبها قائلاً :

كه په ميوند كى شهيد نه شوى زما لا ليه بى ننگى ته دى ساتينه

إن لم تستشهد في معركة ميوند يا حبيبي ، فإنهم يربونك لجلب العار

هكذا ارتبطت الأحوال السياسية والإدارية والحربية والاجتماعية بين كل من بست وميوند من ناحية وبين غزنة وبست وميوند من ناحية أخرى ، وهذه المراكز الثلاثة التي تقع على خط واحد يربط بينها وبين سيستان ، هذه المراكز السياسية قد لعبت دورا سياسيا وعسكريا هاما في هذه الفترة من التاريخ الأفغانى ، وفي الفترات التي تلتها ، ولا يجب أن ننسى في هذا المجال العامل الاقتصادي ، وأهميته الاقتصادية في بست .

(١) بين آموديا وجما - للأستاذ أرنولد توينبى - الترجمة العربية - صفحات مختلفة .

(٢) لندى٤ - للأستاذ عبد الرؤوف بيبرا - صفحات مختلفة - وص : ٧ من هذا الكتاب .

مكانة بست الاقتصادية والتجارية :

إن مدينة بست قد لعبت دورا هاما في الاقتصاد والتجارة بين بلاد الهند وبلاد
الفرس عن طريق أفغانستان ، وبما يجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن أهم الطرق
الرئيسية البرية للتجارة العالمية بين الشرق والغرب - أى بين الهند والصين
من ناحية ، وبين البلاد الغربية من ناحية أخرى - كانت تمر بأفغانستان على
الترتيب التالى .. فالطريق الأول كان يبدأ من الصين ويتخذ مساره إلى پامير
الأفغانية حتى يصل إلى مدينة بلخ فى شمال أفغانستان ، ومنها إلى ما وراء النهر
وإلى البلاد الفارسية القديمة . والطريق الثانى .. كان يبدأ من الهند والسند مارا
على پشاور ، وبعد عبور ممر خيبر ونگرهار يصل إلى مدينة كابل العاصمة
الأفغانية الحديثة ، ومنها يتجه إلى البلاد الغربية ، إما عن طريق هرات غربا ، أو
عن طريق بلخ شمالا . والطريق الثالث .. كان يبدأ من الهند والسند مارا على
كويته ، وسپين بولدك ، وقندهار وبست وزرنج ، ومنها يتجه غربا إلى البلاد
الفارسية ، ثم إلى العالم الغربى القديم^(١) .

فبست كانت مركزا اقتصاديا وتجاريا تصل إليها البضائع الهندية عن طريق
السند وقندهار وأرغنداو ، ومنها تصل إلى مدينة زرنج عاصمة سيستان
الأفغانية إما عن طريق البر بالقوافل ، وإما عن طريق نهر هلمند ، ومن عاصمة
سيستان زرنج تصل إلى هامون سيستان .. ثم إلى بلاد الفرس . ففى العصر
الصفارى والغزنوى والغورى كانت السفن التجارية تبحر بالبضائع من مدينة
گرشك الساحلية ، لتصل إلى مرسى بست ، ومن بست إلى زرنج ومنها إلى
هامون . ومن هنا نستطيع القول بأن المدينتين الأفغانيتين التاريخيتين .. بست فى
الساحل الشرقى من نهر هلمند ، وزرنج فى الناحية الغربية منه كانتا مركزين تجاريين
فى القرون الوسطى من التاريخ الأفغانى القديم ، فمدينة بست كما قلت ، كانت
مركزا اقتصاديا وتجاريا للبضائع الآتية من البلاد الهندية عن طريق السند ،

(١) تاريخ أفغانستان للأستاذين أحمد على كهزاد ومحمد عثمان صدق - صفحات مختلفة والأدب العربى فى
أفغانستان - رسالة الدكتوراه للدكتور محمد أمان خان صافى .

وبلوچستان، وقندهار . وبالعكس من ذلك كانت مدينة زرنج العاصمة السيستانية مركزا اقتصاديا وتجاريا للبضائع الآتية إليها من إيران ، وعبر أراضيها ، وكان كل واحد من المركزين الاقتصاديين التجاريين الأفغانيين يتبادلان البضائع المحلية ، والأمتعة التجارية الواردة إليهما عن طريق نهر هلمند .. نيل أفغانستان كما يقولون^(١) .

٣ - بست ومكانتها العلمية والحضارية والثقافية :

مكانة بست العلمية :

قلنا فيما سبق بأن بست مدينة ساحلية تقع على الشاطئ الشرقى من نهر هلمند، ومن ورائها تمتد صحراء لكان الواسعة الشاسعة، وهى فى الوقت الحاضر حاضرة لولاية هلمند . ومدينة بست هذه كانت مركزا علميا وحضاريا على مر العصور ، وخاصة فى العصور الإسلامية المختلفة ، وبالأخص فى العصر الغزنوى والغورى حيث كانت مأوى للعلماء والأدباء والشعراء الذين كانوا يؤلفون وينشدون من روائع الشعر باللغات العربية والپشتونية والدرية ، وهذه المدينة من أقدم المدن الأفغانية فى هذه المنطقة ، وأعرفها علما وحضارة وأدبا ، ومن هنا نرى المقدسى البشارى يفضل لغة أهل بست على لغة أهل سيستان ، وذلك أثناء حديثه عن لغات هذه المنطقة ، وهذا دليل قاطع على النضج الفكرى واللغوى والعلمى والأدبى لأهل بست ، والدليل الحى على ذلك الخطابى البستى . فى الدراسات القرآنية وابن حبان البستى فى علوم الحديث النبوى الشريف ، وأبو الفتح البستى فى الشاعرية والكتابة .

قلنا فيما سبق أيضا بأن عبد الرحمن بن سمرة عین والیا علی سیستان فى سنة ٣٦ هـ = ٦٥٦ م ، وقد توجه عبد الرحمن بن سمرة الذى كان خبيرا سياسيا وحربيا فى شؤون هذه المنطقة من أفغانستان ، توجه مع عدد كبير من العلماء والقواد العرب ، من بينهم القائد العربى عباد بن الحصين ، والعالم الإسلامى

(١) أفغانستان بين أمس واليوم للأستاذ أبو العین - صفحات مختلفة - ولشكرگاه - للأستاذ أحمد على كهزاد - صفحات مختلفة .